

سعد القرش يرسم جواً شديد القنامة في روايته الجديدة

## «2067»... تكنولوجيا التواصل والإنترنت لتحقيق الهيمنة

د. مصطفى نور الدين \*

وكذا تحفل «ميمس هدي» ولادة رشيد، مكانة منفردة في الذكريات بالأحداث الخاصة، وكذا مكانة منفردة في حياة رشيد، الشخصية الأساسية في الرواية، مع سونهام، فرسيد وسونهام يقومان بإلهاب الحنان للثورة المغدورة، غير إحصاء نصير ذكراهما، غير منصف الخرافي يجمع مقتنيات من أيامها، سواء كانت بالصورة، أو حسيه كقميص لا يزال يحمل آثار دم القاضي زوج أمل، وقد غفل يوم جمعة الغضب في 2011.

هذا الخلف غير موقع على إنترنت ثم يته من صديق خارج البلد «لكلا» بلغ تحت رقابة السلطة الشمولية الحاكمة التي لا يعرف أحد تعديداً من هو الذي يحكم، هل هو الجد أم الأب أم الحفيد، فكلهم يتشابهون وإن كانوا لا يظهرون في الحياة اليومية، ومن هنا تسيطر حالة عدم اليقين.

ورغم كل اختراعات السلطة الشمولية، واستخدامها لكل الوسائل المرفقة في الطيال، كانت الاحتفالات بثورة 25 يناير في «2067»، بفضل منصف جمعة الغضب، وكذا في حوار مع افتتاح مشروع سونهام ورشيد «التشيك» الذي يلوم بدور مركز ثقافي.

حكاية الثورة في الرواية بصاحبها مضادها في سلطة «الديمقراطية» الذي تسفي كل المشاريع باسمه، ولكن بما لا يفل أهمية، وبعد بؤرة الرواية، يتجسد في العلاقة الحسية بين رشيد وسونهام، فالعاشقان المزدوجان يختلفان مع أشخاص آخرين، حالة مديلة في اللاقي بين الرجل والمرأة تكسر الأساس التقليدي،

وتعتمد الشخصية والاستثناء خارج العلاقات المؤسساتية التي تم تجاوز مجرد احترام بين الطرفين، في حالة سونهام التي تشغل «التشيكية» سلوفاها الوحيدة ولا لمدة خبرها»، وفي غياب شريك للحب، يتجسد في الزوج، تعيش سونهام في حالة «الشماسي» كما يقال في التحليل النفسي، أي كما تقول «تشغل نفسي دائماً» والسووضع في حالة رشيد علاقة تشبه العداوة، وتظل علاقة

رسمية لتكفية عقيمة تمرتها طلق «متزوج» فالثورة هنا لم تتمثل في الطلاق، ولكن بإقرار حتى صنع بديل خاص بالطرفين، لا يجمعهما إقرار المجتمع به، ويجسد ذروة سعادتتهما الحسية والنفسية، والسطور التي تجسد هذا العشق في الرواية هي «نشيد إنشاد» للأنثى، وتكفي تلك السطور لتشغل جمالية اللغة والإحصاء، يحقق قدرتها على التعبير عن عظم اللاذ، وما تنتج من تحولات، مثلاً هو حال ما تعبر عنه قصيدة «التيمة» للشاعر «دوقلة المنجي»، فهذه السطور هي ترجمة قريبة من قول الشاعر:

ولها من ربي مجشته / وعز المسالك حشود وفد

فيما طعنت طعنت في لبي / وإذا مزجت بكاء يمسد.

مشاهدة رشيد ومعايشته للتحولات تشخص كلماته لذاته «في وقت قصير، أنقض ماء الحياة جسدها، وما كان الصابر ليظن هذه العيون الباسمة ويريق الوجه تاجاً بهماً لجسد نابل لسطوات الملازمة أن تحببه، وتغير بناتبيعه، وتكسوه نصارة تجعله مسكين مزانة بهضب ووهاد، وعشب يذكر معقوان الممت شيطاني، واستعصائه على سوء الطقوس، وعذابه للطبيعة، وصلاة تحذيه، وتلوته على عشب اليف، موثر، أوهنته الرعاية، ومن العشب على يسار الكواص، ويحترق على الاقتراب، ويدعو إلى القرب، لتخطي منه الجوارح بالنصبلة».

\* كاتب مصري

تتعهد رواية قراءة رواية «2067» لسعد القرش، ولكل جانب قيمته الخاصة، وتكامل الجوانب والزوايا الرؤية لوجه واحد، فلو تركنا الرؤية الذاتية وما يشير العنوان من هزن وشجن مزيج، لرأينا أن في الرواية من الجديد الكثير في فن الكتابة وفي الفلسفة التي تشغل عقلها، وإن مر عليها البعض دون إبرازها فسوف يستمتع بالحقايات، ولكن ننقصه أبعادها الجوهرية.

أول حاجس يدعها عند قراءة عنوان الرواية، منصف، فنحسب أن هزيمة 1967 سوف تذكر بل إن مجرد مشاهدة الرقمين 67 يغير قصة من عاشت الهزيمة كابوس الماضي خاطئ.

الرواية تأخذ منحى يستبعد هذه الفكرة من ذهن، غير أن الواقع الذي تدور فيه أحداثها شديد القنامة، هو جو تعلق فيه للدولة الشمولية تطبيق المعارف الحديثة في تكنولوجيا التواصل والإنترنت، لتتحقق الهيمنة على الأفراد والجماعات.

هو جو يذكر رواية جورج أوريل «1948» التي صدرت في 1949، وكذلك رواية الكاتب الروسي أوجين زامياتين الصادرة عام 1920 «مجن» وهناك روايات أخرى عالجت المسألة نفسها، ويمكن أن تكتمل صورة الدولة المتسلطة إذا أضفنا نظرية «بانوفيتفون» أو مرالية المنزل التي نطرق لها جيمس بنجام في عام 1787 للهيمنة، موضع الناس في ميل

علاقة ومصممة بشكل مصممي، يسمح بمراقبة كل الأفراد، وكشف سلوك كل فرد، ولا يمكن التخلي في زاوية منها وهذه المفاهيم كان السعي لتطبيقها على كل الجوانب العامة من مدارس ومصانع ومستشفيات، والسجون بطبيعة الحال.

في رواية «2067» يتم تجاوز هذه الحلول «البسيطة» إذ تقوم الدولة الشمولية بالاستحسان بطوات طيفية من المنظر، وكأنها تلبس «طافية

إيقاع» أو عكس فكرة «الرجل الطيفي» في رواية «ويلز» التي نشرت عام 1897، فالرجل الطيفي، في رواية «ويلز»، كان يظهر إذا ارادى ملاس، ويختفي عن الأنظار من دولها، في رواية «2067»، سخرت الدولة الذباب، وزوده بكاميرات، ملاحقة أي شخص وتنبهه في أي مكان، واختيار الذباب من قبل السلطة كان بسبب سلوكه، «الإحاحه على المطاردة والاختصاق وتلفه ومراوغته»، فيبدو أن المسؤولين كانوا على معرفة واسعة بما كتب حول الذباب، منذ عهود بعيدة، وربما قرأوا مقال لوسيان الذي عاش حتى قرب نهاية القرن الثاني الميلادي، وهو مقال عنوانه «في مديح الذباب»، وفيه تعريف لطوائف الذباب وخصائصها المنفردة، هذه الخصال هي ذاتها التي دفعت السلطة الشمولية لملاحقتها تلك المسؤولية الدقيقة والضرورية كتابعة مارقين لا يسمون ثورة 25 يناير (كانون الثاني) التي تم يعيشوا أيامها بأنفسهم، إذ كانوا أطفالاً أو لم يولدوا، ورغم ذلك، لا يفلون عن التفكير فيها، ويعلمون بمفردة تفجر جمعة غضب 28 يناير «جديدة، بعد أربعين سنة من الجمعة الشهيرة في تلك الفترة.

رواية «2067» التي أصدرتها المؤسسة العربية للدراسات والنشر، في بيروت، تمنح مكانة منفردة للمرأة في إعادة الفكرة بمحاولة صنع التاريخ في 25 يناير 2011، فالنساء من حافظات الذاكرة الثورية، بالاشركة العاطفية والجسدية، وكذا بدفع الفن بفقد الزوج كما هو حال الثخيرة «أمل».

